[77] محكيا عن لسان حالهم، وإن أمكن أن يكون ذلك مما قاله آخرون بلسان قائلهم، أو يكون النبي (صلى ا عليه وآله) هو القائل ذلك مشافها ربه عن نفسه الشريفة وعن المؤمنين، لأنهم بإيمانهم من فروع شجرة نفسه الطيبة المباركة. والآيتان تشتملان على ما هو كالمقايسة والموازنة بين أهل الكتاب وبين مؤمني هذه الامة من حيث تلقيهم ما انزل إليهم في كتاب ا، وإن شئت قلت: من حيث تأدبهم بأدب العبودية تجاه الكتاب النازل إليهم، فإنه ظاهر ما أثنى ا سبحانه على هؤلاء وخفف ا عنهم في الآيتين بعين ما وبخ اولئك عليه وعيرهم به في الآيات السابقة من سورة البقرة، فقد ذم أهل الكتاب بالتفريق بين ملائكة ا فأبغضوا جبريل وأحبوا غيره، وبين كتب ا المنزلة فكفروا بالقرآن وآمنوا بغيره، وبين رسل ا فآمنوا بموسى أو به وبعيسى وكفروا بمحمد (صلى ا عليه وآله) وعليهم، وبين أحكامه فآمنوا ببعض ما في كتاب ا وكفروا ببعض، والمؤمنون من هذه الامة آمنوا " با وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ". فقد تأدبوا مع ربهم بالتسليم لما أحقه ا من المعارف الملقاة إليهم، ثم تأدبوا بالتلبية لما ندب ا إليه من أحكامه إذ قالوا: " سمعنا وأطعنا " لا كقول اليهود: " سمعنا وعصينا " (1) ثم تأدبوا فعدوا أنفسهم عبادا مملوكين لربهم لا يملكون منه شيئا ولا يمتنون عليه بإيمانهم وطاعتهم فقالوا: " غفرانك ربنا " لاكما قالت اليهود: " يغفر لنا " وقالت: " إن ا فقير ونحن أغنياء " (2) وقالت: " لن تمسنا النار إلا أياما معدودة " (3) إلى غير ذلك من هفواتهم. ثم قال ا سبحانه: " لا يكلف ا نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " فإن التكليف الإلهي يتبع بحسب طبعه الفطرة التي فطر الناس عليها، ومن المعلوم أن الفطرة التي هي نوع الخلقة لا تدعو إلا إلى ما جهزت به، وفي ذلك سعادة الحياة البتة.

_____ (1) البقرة: 93. (2) آل عمران: 181. (3) البقرة: 80. _____